البهائيّة أقلّيّة عالميّة(1)

هدى المعماري

في خضمّ التّحوّلات الثّقافيّة والحضاريّة والاجتماعيّة الّتي كان الشّرق الأوسط يمرّ بها في منتصف القرن التّاسع عشر، ظهرت دعوةٌ دينيّةٌ في بلاد فارس عُرفت بـ«البهائيّة»، وذلك نسبةً إلى مؤسّسها بهاء الله. دعت البهائيّة، فيما دعت، إلى التّجديد في الدّين بدعوى أنّ الأديان تتجدّد مع تجدُّد المجتمعات البشريّة؛ فلا يمكن أن يبقى الدّين جامدًا عندما تكون كلّ مكوّنات المجتمع البشريّ والحياة الإنسانيّة متحرّكةً وتسير نحو التّطوّر والتّقدّم المطّرد. قد تكون البهائيّة، حسب تعبير باحث معاصر، «الحركة الدّينيّة الأبرز في الشّرق خلال القرن التّاسع عشر في تبنّي أفكار جذّابة استوعبت المتغيّرات الجديدة، بعد ركود السّائد الدّيني والمذهبي عشرات القرون»(2).

البهائيّون موجودون في جميع الدّول العربيّة، وعقيدتهم لا تسمح لهم بالتّستّر على انتمائهم الدينيّ، أو التّقيّة، وفي الوقت ذاته لا يروّجون لدينهم عن طريق الدّعاية أو التّبشير لكن لا يبخلون على كلّ من يرغب في الاستفسار عن مبادئهم وتاريخهم ومعتقداتهم. إذًا، البهائيّون واقع موجود في العالم العربي وإنْ كان حضورهم كبهائيين لا يزال أقلّ بروزًا من دورهم كمواطنين يخدمون المجتمعات الّتي يعيشون فيها. قد يعود ذلك إلى أنّهم لا يزالون أقلّيات في العالم العربي كما في جميع بلدان العالم، وأيضًا لأنّ دينهم لا يشتمل على طقوس شكليّة كما لا يوجد لديهم رجال دين حتّى يتميّزوا في المظهر والطّقوس عن المجتمع المدني الّذي يعيشون فيه. البهائيّون في العالم العربي لا ينتمون إلى فئة اجتماعيّة واحدة بل هم ينتمون إلى مختلف طبقات المجتمع ويمتهنون شتّى أنواع العمل. ما يلي عرضٌ موجز

(1) للحصول على معلومات إضافيّة عن الدّين البهائي يمكن زيارة الموقع العالمي الرسمي للبهائيين على الرّابط التّالي: http://info.bahai.org/arabic/ كما يمكن تصفّح الكتب المقدسة عند البهائيين على الموقع التالي: http://reference.bahai.org/ar/

(2) **حروف حيّ** تأليف رشيد الخيّون، منشورات الجمل، كولونيا، 2003. ص 6.

لتاريخ الدّين البهائي، مع بعض التّركيز على ارتباطه المبكر بالمجتمع اللّبناني، وكذلك تلخيص لأهمّ العقائد البهائيّة والمبادئ الأخلاقيّة الّتي يدعو إليها.

نبذة تاريخيّة[1]:

قبل قيام البهائيّة كدين مستقلّ، أعلن رجلٌ من أهل شيراز في إيران، هو السّيّد علي محمّد الشّيرازي، في عام 1844، أنّه القائم المنتظَر عند الشّيعة، وهو المهديّ الموعود لدى المسلمين عامّة. لقّب السّيّد علي محمّد نفسَه بـ«الباب»، وكان يقصد من ذلك أنّه الباب الّذي يؤدّي إلى ظهورٍ لاحق هو موعودُ جميع الكتب السّماويّة، ولذلك عُرفت دعوته بـ«البابيّة». لم تلقَ دعوةُ الباب ترحيبًا من قِبَل السّلطتين الدينيّة والسّياسيّة في إيران بعدما لاحظا سرعة انتشارها بين مختلف طبقات المجتمع؛ فاتّحدا على قمعها والتّنكيل بالمعتنقين لها؛ فاعتُقل الباب وسُجن في قلاع نائية في شمال إيران قبل أن يتمّ إعدامه في تبريز عام 1850 تاركًا وراءه أعدادًا كبيرة من الأتباع المنتشرين في شتّى أصقاع بلاد فارس ونَفَرًا قليلًا في بعض مدن العراق.

تجدر الإشارةُ إلى أنّ البابيّة، في نظر كثير من الباحثين، تُعتبر عاملًا أساسيًّا من عوامل الحداثة في الشّرق؛ وقد يكون للبابيّة الدّور الأبرز في الدّعوة إلى تحرّر المرأة من القيود الّتي كانت تكبّل مساواتها بالرّجل في المجتمعات الشّرقيّة آنذاك. السّبب في ذلك هو أنّ من أوائل الّذين دخلوا في دعوة الباب كانت امرأة تُعرف بـ«قُرّة العين» ويلقّبها البهائيّون بـ«الطّاهرة». بُعيد إيمانها بالباب قامت قرّة العين على نشر الدّعوة البابيّة في كربلاء. إنّ كون قرّة العين امرأة تقوم بمهامّ كانت آنذاك ممّا تقوم به هممُ الرّجال أمرًا غير معتاد، خاصّةً في بيئةٍ اجتماعيّة محافظة كتلك الّتي كانت في العتبات المقدّسة في العراق. كانت قرّة العين ضليعةً في علوم الدّين تُجادل العلماء في مجالسهم من خلف ستار كان يفصل بينها وبينهم، أضف إلى ذلك موهبتها في نظم الشّعر.

يعلّق الدّكتور علي الوردي، أستاذ التّاريخ في جامعة بغداد، على قضيّة قرّة العين قائلًا: «شُغل المجتمعُ العراقيّ في السّنوات الأخيرة من ولاية نجيب باشا بحديث امرأة عجيبة تُدعى قرّة العين، إذ هي أسفرت عن وجهها[2] وارتقت المنبر وخطبت وجادلت،

(1) لمزيد من التّفاصيل التاريخيّة، انظر: **الدّين البهائي**: بحث ودراسة تأليف دوغلاس مارتن ووليام هاتشر، ترجمة عبد الحسين فكري، دار النّشر البهائية في البرازيل، 2002. ص 32-122.

(2) فيما يتعلّق بموضوع سفور قرّة العين، والّذي كان ولا يزال موضع جدل، يعلق الوردي نفسه على هذا الموضوع ويقدّم تحليله الخاص الّذي يقول: «يبدو أنّ قرّة العين لم تكن =

فكان ذلك أوّل حدث من نوعه في تاريخ العراق، وربّما في تاريخ الشّرق كلّه طيلة قرون عديدة»[1] . كما يعتبر أحدُ الباحثين المعاصرين أنّ قرّة العين كانت «من الأركان الأساسيّة في حركة الباب الشّيرازي، والسّبب المباشر والأساس لقضيّة حرّيّة المرأة في الشّرق الإسلامي»[2] . يصف الباحث نفسُه الأحداث المرتبطة بسيرتها بأنّها «وقائع تتعلّق بسيرة أنثى جريئة عملت في الزّمان والمكان غير المناسبين؛ أنثى كرّست كلّ حياتها وهوسها للتّغيير من أجل قضيّة الموعود، كأنّها كانت على يقين جازم بأنّ حياتها قد نُذرت لتمهيد الطّريق للمخلّص، لتكون في النّهاية هي السّبب المباشر في الانسلاخ عن الشّريعة الإسلاميّة، وليس التّرويج لشريعة مدّعي قائميّة الباب»[3] .

يُبدي الوردي رأيه الشّخصي في قرّة العين، وواضحٌ أنّه كان معجَبًا بها، قائلًا : «حين نستقرئ سيرة قرّة العين، منذ بداية أمرها حتّى ساعة مقتلها، نشعر بأنّها امرأةٌ ليست كسائر النّساء؛ فهي، علاوةً على ما تميّزت به من جمال رائع، كانت تملك ذكاءً مفرطًا وشخصيّةً قويّةً ولسانًا فصيحًا، وتلك صفاتٌ أربع قلّما اجتمعت في إنسان واحد، وإنْ هي اجتمعت فيه منحته مقدرةً على التّأثير في النّاس وجعلته ممّن يغيّرون مجرى التّاريخ... إنّي أعتقد، على أيّ حال، أنّ قرّة العين امرأةٌ لا تخلو من عبقريّة، وهي قد ظهرت في غير زمانها، أو هي سبقت زمانها بمائة سنة على أقلّ تقدير. فهي لو كانت قد نشأت في عصرنا هذا، وفي مجتمع متقدّم حضاريًّا، لكان لها شأنٌ آخر، وربّما كانت أعظم امرأة في القرن العشرين»[4] .

بعد مرور ثلاثة أعوام على مقتل الباب قام ثلاثةٌ من أتباعه بمحاولة فاشلة لاغتيال ناصر

= متزمّتةً في حجابها على النّمط الشّديد الّذي اعتادت عليه نساء عصرها، وهي ربّما كانت تلتزم السّفور الّذي تبيحه الشّريعة الإسلاميّة وهو إظهار صفحة الوجه والكفّين من غير زينة؛ فكانت تجالس الّذين تثق بهم من أصحابها وتحادثهم وهي مكشوفة الوجه. غير أنّ هذا النّوع من السّفور لم يكن يستسيغه النّاس في تلك الأيّام، فأثار ضجّةً لدى العامّة ورجال الدّين، وأخذوا يتقوّلون عليها ويُلصقون بها التّهم الشّنعاء». **لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث**، تأليف علي الوردي، دار كوفان للنشر، لندن، ط 2، 1992. الجزء الثاني، ص 156، 157.

(1) المصدر السّابق، الجزء الثاني، ص 155.

(2) **بكاء الطّاهرة - رسائل قرّة العين** لمجموعة من المؤلّفين، تقديم يوسف أفنان ثابت، دار المدى للثّقافة والنّشر، دمشق، 2008 ص 8.

(3) المصدر السابق، ص 8.

(4) **لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث**، تأليف علي الوردي، دار كوفان للنشر، لندن، ط 2، 1992. الجزء الثاني، ص 189، 190.

الدّين شاه ملك إيران آنذاك، وذلك لاعتقادهم أنّه المسؤول الأوّل عن إعدام الباب. لم تنجح المحاولة، لكنها أجّجت أعمال اضطهاد البابيّين، فاعتُقل أحد أشهر رؤسائهم في طهران آنذاك، وهو حسين علي النّوري الّذي عُرف لاحقًا بلقب «بهاء الله»، وسُجن في طهران، لكن شهرته ونفوذ عائلته حالا دون إقدام السّلطات الإيرانيّة على إعدامه كما فعلت مع معظم زعماء البابيّين في تلك الفترة. قرّرت الحكومة عندئذٍ إبعاده عن إيران إلى العراق الّتي انتقل إليها وأقام في بغداد. لكن سرعان ما بدأ عددٌ من البابيّين بالهجرة من إيران والاستقرار في بغداد حيث تكوّنت جاليةٌ بابيّة كان بهاء الله أبرزَ شخصيّة بينها.

بعدما أمضى أحد عشر عامًا في العراق، أعلن بهاء الله لعدد من البابيّين في 21 نيسان 1863 أنّه مؤسّس رسالة سماويّة جديدة، وهي الّتي كان الباب قد مهّد الطّريق لظهورها. تقبّل معظمُ البابيّين في العراق وإيران دعوته، وكان هذا منطلَقًا لدعوة دينيّة جديدة عُرفت باسم «البهائيّة». بعدما أمضى بهاء الله أكثر من عقد من الزّمن في العراق، قرّرت الدّولة العثمانيّة، وبتحريض من الحكومة الإيرانيّة آنذاك، أن تُبعد بهاء الله وخاصّةَ أتباعه من العراق المجاورة لإيران إلى عاصمة الخلافة العثمانيّة اسطنبول. وصل بهاء الله إلى اسطنبول وأمضى فيها قرابة أربعة أشهر قبل أن يصدر حُكم جديد من السّلطان العثماني عبد العزيز يقضي بنفيه وجميع أتباعه المرافقين له في اسطنبول إلى مدينة أدرنه في أقصى غرب الدّولة العثمانيّة والواقعة ضمن القارة الأوروبيّة. بقي بهاء الله في أدرنة زهاء أربعة أعوام قبل أن يصدر قرار آخر من السّلطان العثماني نفسه يقضي بنفيه إلى مدينة عكّا في فلسطين، على أن يكون مسجونًا في قلعتها مدى الحياة. نُقل بهاء الله عن طريق البحر، مرورًا بالإسكندريّة، إلى عكّا حيث سُجن هو وعائلته وأصحابه في قلعتها زهاء سنتين قبل أن يُسمح له بالسّكن داخل جدران عكا حيث عاش فترة دون أن يكون مسموحًا له الخروج منها. في السّنوات الأخيرة من حياته، وقد كانت قيود الاعتقال والإقامة الجبريّة قد خفّت نسبيًّا، انتقل بهاء الله إلى منطقة البهجة في ضواحي عكّا حيث أقام في قصر كان ابنُه الأكبر عبّاس أفندي قد اشتراه في وقت سابق لهذا الغرض. تُوفّي بهاء الله في قصر البهجة سنة 1892 ودُفن في جواره، فصار ضريحُه محجّةً يتقاطر البهائيّون من شتّى أصقاع المعمورة لزيارته حتّى يومنا هذا.

بعد وفاة بهاء الله استلم ابنُه الأكبر عبّاس أفندي زمام قيادة البهائيّين ورعاية شؤونهم، وذلك بناءً على وصيّة كان بهاء الله قد كتبها بخطّه. يُعرف عبّاس أفندي لدى البهائيّين بلقب «عبد البهاء». عند وفاة بهاء الله كان عبد البهاء قد بات شخصيّةً معروفة ومشهورة في بلاد الشّام، وكان على اتّصال مع كبار الشّخصيّات العربيّة والتّركيّة ويلقى احترامًا لدى الولاة والعوام. داوم عبد البهاء على إدارة شؤون البهائيّين حتّى وفاته في حيفا سنة 1921.

خلال تلك الأعوام التّسعة والعشرين، قام عبد البهاء بترسيخ أركان البهائيّة في إيران والعراق وبلاد الشّام ومصر، وكذلك في أوروبا وأميركا حيث كانت البهائيّة قد اجتذبت

أتباعًا أسّسوا النّواة الأولى للبهائيين في الغرب. سافر عبد البهاء إلى مصر سنة 1911 وأمضى فيها عامًا قبل أن يبدأ رحلةً امتدّت لسنتين في القارتين الأوروبيّة والأميركية بهدف نشر الدّعوة الجديدة وتوطيد أركان المجتمعات البهائيّة الفتيّة فيهما. بعد عودته إلى حيفا بفترة وجيزة اندلعت الحرب العالميّة الأولى، فوقع عبد البهاء والبهائيّون، مع سائر سكّان الجليل في فلسطين، في خضمّ مصائب الحرب وويلاتها حتّى سنة 1920.

بعد وفاة عبد البهاء، انتقل زمام إدارة أمور البهائيّين في العالم إلى حفيده شوقي أفندي، وهو المعروف لدى البهائيّين بلقب «وليّ أمر الله»، وذلك بناءً على وصيّة بخطّ عبد البهاء. ركّز شوقي أفندي جلّ مجهوداته على تنظيم المجتمعات البهائيّة في شتّى أنحاء العالم، وتوسيع رقعة انتشارها تنفيذًا لما كانت تعاليم ووصايا كلّ من بهاء الله وعبد البهاء في كتبهما ورسائلهما قد نصّت عليه بشكل صارت البهائيّة في عهد شوقي أفندي دينًا عالميًّا له نظامُه الإداريّ في مؤسّسات تدير شؤونه من خلال شبكة منظّمة من الهيئات المُنتخَبة والمكوّنة من «محافل روحانيّة مركزيّة» على مستوى الدّول، و«محافل روحانيّة محليّة» على مستوى المُدن. كان يُقيم شوقي أفندي في بيت جدّه عبد البهاء بسفح جبل الكرمل في حيفا، بالقُرب من ضريحي الباب وعبد البهاء، فصارت حيفا، فعليًّا، المركز الإداري للبهائيّين في العالم، وذلك لوجود وليّ أمرهم فيها.

إثْر انتهاء الحرب العالميّة الثّانية، وتقسيم فلسطين عام 1948، انفصل المركز العالمي البهائي في حيفا، حيث كان يقطن شوقي أفندي، عن العالم العربي، وبالتّالي عن الجماعات البهائيّة في الدّول العربيّة. على الرّغم من انقطاع التّواصل بين حيفا والبهائيين في العالم العربي استمرّ البهائيّون في الدّول العربيّة، حيثما تواجدوا، بإدارة شؤونهم طبقًا للنّهج الإداري الّذي كان شوقي أفندي قد رسمه وفصّله ووطّده خلال الأعوام السبعة والعشرين الّتي سبقت تقسيم فلسطين.

تُوفّي شوقي أفندي عام 1957 أثناء زيارة كان يقوم بها لبريطانيا ودُفن في ضواحي لندن. كان شوقي أفندي قد عيّن، قبل وفاته، أشخاصًا من جميع قارات العالم سمّاهم «أيادي أمر الله» وأعطاهم مهام صيانة الدّين البهائي ونشره. تمكّنت مجموعة أيادي أمر الله من إدارة العالم البهائي بعد وفاة شوقي أفندي حتّى تنظيم وإجراء انتخاب الهيئة العليا في النّظام الإداري البهائي المسمّاة «بيت العدل الأعظم»، وذلك تطبيقًا لما نصّ عليه بهاء الله في كتابه «الأقدس»، والّذي حدّد طريقة انتخابه عبدُ البهاء في رسالة وصيّته. انتُخب «بيتُ العدل الأعظم»، المكوّن من تسعة أشخاص، عام 1963، أي في الذّكرى المئويّة الأولى لإعلان بهاء الله دعوته في بغداد سنة 1863، فاستلم منذ ذلك التّاريخ زمام إدارة الجامعة البهائيّة العالميّة من مقرّ وليّ أمر البهائيّين في حيفا.

ينتشر البهائيون اليوم في شتّى مناطق العالم ودوله دون استثناء، وهم ينتمون إلى أصول

دينية وأجناس وأعراق وشعوب وقبائل وجنسيات متعددة. أما الدين البهائي، فمعترف به رسميًّا في الكثير من الدول في جميع القارّات، وهو مُمثّل تمثيلًا غير حكومي في هيئة الأمم المتحدة وفي العديد من الأوساط الدولية العلمية والاقتصادية والاجتماعيّة.

خلاصة العقيدة

تقوم العقيدة البهائيّة في الأساس على مبدأ «الوحدانيّة أو التّوحيد في جميع مراتب الوجود». يبدأ ذلك بالاعتقاد بوحدانيّة الله، فيكرّر البهائيّون يوميًّا في صلاتهم: «أشهد بوحدانيّتك وفردانيّتك وبأنّك أنت الله لا إله إلّا أنت، قد أظهرتَ أمرك ووفيتَ بعهدك وفتحتَ بابَ فضلك على من في السّموات والأرضين». بما أنّ الله واحد أحد، فمن الطّبيعي أن يكون جميع من يرسلهم بكتاب سماوي لهداية خلقه عبر العصور متّحدين في الجوهر. هذا يؤدّي إلى اعتقاد البهائيين بأنّ أساس جميع الأديان واحد، وجميع الأنبياء والمرسلين إنّما هم مرايا متعدّدة تعكس ضياءً واحدًا يُشرق من شمس واحدة هي الله الّذي هو نور السّموات والأرض. لمّا كان الله واحدًا في ذاته، وكانت رسالاته واحدةً في جوهرها، وجب الانتهاء إلى وحدة البشريّة، وهذا يمثّل الهدف الغائي لرسالة بهاء الله، أي تحقيق «وحدة العالم الإنساني» حتّى يعمّ السّلام العالمي ويتأسّس ملكوتُ الله على الأرض. هذا، حسب ما يعتقد به البهائيّون، هو ما بشّرت به جميعُ الأديان الّتي أتت إلى العالم قبل الدّين البهائي.

بناءً على ما تقدّم، يحثّ الدّين البهائي أتباعه على الإيمان بالله الواحد الّذي لا شريك له، ويعترف بوحدة الرّسل والأنبياء دون استثناء، ويؤكّد على وحدة الجنس البشري، ويفرض على كلّ مؤمنٍ التّخلي عن كلّ لون من ألوان التّعصب والخرافات الموروثة، ويجزم بأنّ هدف كلّ دينٍ هو إشاعة الألفة والوئام، ويعتبر اتّفاق الدّين والعلم أمرًا جوهريًّا وعاملًا من أهم العوامل التي تمنح المجتمع البشري السّكينة والاطمئنان وتحمله على التّقدم والعمران. لعلّ من أهمّ المبادئ الّتي يدعو إليها الدّين البهائي هو مبدأ المساواة في الحقوق بين البشر بما في ذلك المساواة بين الرّجل والمرأة، فضلًا عن مبدأ التّعليم الإجباري وتوفير الإمكانات لخلق مناخ اجتماعي سليم؛ فيحضّ أتباعه على إزالة الهوّة السّحيقة بين الفقراء والأغنياء، ويقضي بعدم تعدّد الزّوجات، ويُقدّس الكيان العائلي معتبرًا الأسرة أساس بناء المجتمع الإنساني الصّالح. يمنع الدّين البهائي أتباعه من الانخراط في الشؤون السّياسية الحزبيّة الّتي تفرّق بين أبناء البلد الواحد، ويشجّعهم على الولاء والصّدق والأمانة في علاقاتهم مع الحكومات الّتي يعيشون في بلدانها، ويدعوهم إلى خدمة أوطانهم ورفع شأن مواطنيهم، مثلما يدعوهم إلى خدمة العالم. لا تَدَع الكتب البهائية مجالًا للشّكّ في

أنّ بهاء الله قد سنّ لأتباعه منهجًا للسّلوك ونمطًا للتّعامل الشّريف، فأكّد أنّ الحياة الخاصّة للفرد إنّما هي مقياس دقيق لإيمانه؛ ففرض على أتباعه طهارة القول والفكر والعمل، وأمرهم بكلّ معروف، ونهاهم عن كلّ منكر. يقول بهاء الله في الكتاب الأقدس: «زيّنوا رؤوسكم بإكليل الأمانة والوفاء، وقلوبكم برداء التّقوى، وألسنكم بالصّدق الخالص، وهياكلكم بطراز الآداب، كلّ ذلك من سجيّة الإنسان لو أنتم من المتبصّرين».

يعتقد البهائيّون أنّ رسالة بهاء الله، كما هو الحال مع جميع الرسالات السماوية السّابقة مثل الإسلام والمسيحيّة والزردشتيّة واليهوديّة والبوذيّة والهندوسيّة، لا تمثّل سوى مرحلة من المراحل المتعاقبة للتطور الروحي الذي يمرّ به المجتمع الإنساني. كما يعتقدون أنّ البهائيّة دين عالمي مستقل كل الاستقلال عن أي دين آخر. وهو ليس طريقة من الطرق الصوفية، ولا مزيجًا مقتبسًا من مبادئ الأديان المختلفة أو شرائعها، كما إنَّه ليس شُعبة من شعب الدين الاسلامي أو المسيحي أو اليهودي، وهو ليس إحياء لأي مذهب عقائدي قديم. إنّ للدين البهائي كتبه المُنزلة، وشرائعه الخاصة، ونظمه الإدارية، وأماكنه المقدسة. أما رسالته الحضارية الموجهة إلى هذا العصر فتتلخص في المبادئ الروحية والاجتماعية التي نصّ عليها لتحقيق نظام عالمي بديع يسوده السلام العام وتنصهر فيه أمم العالم وشعوبه في اتحاد يضمن لجميع أفراد الجنس البشري العدل والرفاهية والاستقرار ويُشيّد حضارة إنسانية دائمة التقدم في ظل هداية إلهية مستمرة[1].

بيروت تستقبل عبد البهاء

عندما عُيّن أحمد بيك توفيق واليًا عثمانيًّا على عكّا تحسّنت أوضاع البهائيّين الّذين كانوا يقيمون فيها؛ إذ كان الوالي الجديد يُبدي تعاطفًا تجاه البهائيّين، كما كان يُكنّ احترامًا فائقًا لعبد البهاء. أثناء ولاية أحمد بيك توفيق، زار عكّا والي بيروت عزيز باشا الّذي كان على معرفة ببهاء الله وابنه عبد البهاء منذ السّنوات الّتي كانا منفيّين فيها في أدرنه. بعد عودة عزيز باشا إلى بيروت، وصلت دعوة من مدحت باشا، الّذي كان يقيم في بيروت آنذاك، إلى عبد البهاء لزيارتها. قَبِل عبد البهاء الدّعوة وزار بيروت في صيف عام 1887 حيث التقى بعدد كبير من وجهاء المدينة ورجال الفكر والدّين والصّحافة. تجدر الإشارة إلى أنّ مدحت باشا كان من رجال السّياسة الإصلاحيّين في الدّولة العثمانيّة، وهو مَن أقنع السّلطان العثماني آنذاك بوضع دستور للدّولة على نمط الدّساتير الحديثة في أوروبا[2].

(1) مقتبس من الموقع الرسمي للجامعة البهائية العالمية مع بعض التّصرف: **http://info.bahai.org/arabic/**

(2) انظر: **Abdu l'Baha** by Hasan M. Balyuzi, George Ronald, Oxford, 1971. pp. 37, 38.

لم تكن زيارة عبد البهاء لبيروت حدثًا عابرًا، بل تناولتها بعض الصّحف البيروتيّة بأسلوب يشير إلى أنّ عبد البهاء قد نال إعجاب الكثيرين ممّن التقاهم في بيروت، مسيحيّين ومسلمين. فقد أوردت جريدة «بيروت» الّتي كان يملكها محمّد رشيد الدّنا في عددها الصّادر في 28 حزيران 1887 تحت عنوان (قدوم) الإعلانَ التّالي: «قدم من عكّا جناب العالم العلاّمة الفاضل السّيّد عبّاس أفندي، وقوبل من جانب العلماء والأهالي والوجوه بما يليق من الإكرام». ثمّ نشرت الجريدة نفسها في عددها الصّادر في 9 آب 1887 تحت عنوان (سفر) ما يلي: «في أواخر الأسبوع الماضي سافر من ثغرنا حضرة العالم الفاضل والنّحرير الكامل فضيلة عبّاس أفندي الإيراني الشّهير قاصدًا عكّا. وكانت مدّةَ وجوده في بيروت موضوعًا لأحاديث أهل الفضل والأدب الّذين تقاطروا إلى زيارته لاستمداد السّمر في القمر. ولا غروَ في ذلك، فإنّ ما له من محاسن الصّفات قد استمال القلوب إليه وعقد خناصر الولاء عليه».

أمّا جريدة «لسان الحال» الّتي كان يُصدرها خليل سركيس في بيروت آنذاك، وكانت تصدر مساء يومي الاثنين والخميس، فقد أعلنت في عددها ليومي 30 و 11 آب سنة 1887 مغادرةَ حضرة عبد البهاء لبيروت بالعبارات التّالية: «أوحشَ ثغرَنا مساء الخميس حضرةُ العالم العلاّمة صاحب الفضل والفضيلة السّيّد عبّاس أفندي الإيراني بعد أن صرف بيننا نحوًا من شهر ونصف كأنّها لحظةٌ؛ فكان محورَ الكمال ومحطّ رحال الآداب، زاره كبارُ الثّغر وارتشفوا من سلسبيل معارفه. سهّل الله طريقَه كيفما سار وحيثما كان».

كذلك لم تُغفل صحيفةُ «ثمرات الفنون»، الّتي كان يُصدرها في بيروت عبد القادر قبّاني مدير المعارف [التّربية والتّعليم] فيها، الإعلانَ عن قدوم حضرة عبد البهاء إلى بيروت ومغادرته لها. فقد كتبت في عددها الصادر في 28 حزيران 1887 تحت عنوان (إياب وذهاب) ما يلي: «قدم مدينتَنا معدنُ الفضل الكامل المكرّم حضرة عبّاس أفندي الإيراني، فاحتفل بقدومه أحبّاؤه ومعارفه، وأجَلَّ وجهاءُ القوم مثواه». وفي عددها الصّادر في 9 آب 1887 كتبت في قسم (الأخبار المحلّيّة): «عاد إلى عكّا الأمجدُ الفاضل الكامل حضرة عبّاس أفندي الإيراني بعدَ أن أقام في بيروت مدّةً كان بها مكرّمًا محترمًا عند الكُبَراء والوجهاء وأهل الفضل. والحقّ يُقال إنّ حضرته استجمعت صفات الكمال والمروّة، حفظه الله».

كانت زيارة عبد البهاء الأولى إلى بيروت فاتحة تواصل ومراسلات مستدامة مع عدد كبير من رجال الفكر والصّحافة اللّبنانيين وكذلك مع شخصيّات من عائلات لبنانيّة معروفة؛ منها عائلات رمضان وطبّارة وعبد النّور وسرسق وبطرس وحبّال ودوفريج والحسيني والأيوبي واسكندر وقبّاني وعسيران، وهنالك رسائل عديدة من عبد البهاء موجّهة إلى أفراد من العائلات المذكورة تدلّ على علاقة ودّية كانت قائمةً بين الطّرفين. منذ

ذلك الحين وإلى عقود متتالية، تزايد عدد البهائيين في لبنان وإنْ لم يتعدّ المئات، وهم يعيشون الآن فيه كجزء فاعل في المجتمع اللّبناني فلا يعتبرون أنفسهم مهمّشين لأنّ دينهم يأمرهم بالانتماء الإنساني قبل الانتماء الدّيني، وهم يخدمون المجتمع وليس الطّائفة، ولذلك هم أقلّيّة في لبنان لا تشعر بالتّهميش لأنّها لا تهمّش نفسها[1].

تجدر الإشارة هنا إلى أنّه عندما زار عبد البهاء بيروت عام 1887، كان الشّيخ محمّد عبده مُبعدًا فيها بعد الخلافات الّتي كانت قد نشأت بينه وبين شيوخ الأزهر. ذهب عبده لزيارة عبد البهاء في محلّ إقامته في فندق بسّول على شاطئ مدينة بيروت، واستقبله عبد البهاء بالتّرحاب، فكانت هذه بداية لصداقة بين الرّجلين دامت لسنوات بعدها. أشار الأمير شكيب أرسلان إلى احتفاء الشّيخ عبده بعبد البهاء في بيروت قائلًا: «لم يكن يطرأ على بيروت أحد من معارفه [أي معارف الشّيخ عبده] أو من الأعيان المشهورين إلا وقام بسنّة السلام عليه، وقد يُجله ويحتفي به ولو كان مخالفًا له في العقيدة. ولم أجده احتفل بأحد أكثر من احتفاله بعباس أفندي، وكان يكرم في عباس أفندي العلم والفضل والنبل والأخلاق العالية، وكان عباس أفندي يقابله بالمثل..». .[2]. في صيف 1897 دار بين الشّيخ عبده وأحد أبرز تلاميذه الأزهريّين الشّيخ محمّد رشيد رضا، وهو من طرابلس في لبنان، حوارٌ في القاهرة حول البهائيّة. ضِمْن الحوار الّذي دار بين الرّجلين استفسر رضا عن رأي أستاذه في عبد البهاء عبّاس قائلًا بأنّه كان قد سمع أنّه «بارعٌ في العلم والسّياسة، وأنّه عاقلٌ يُرضي كلّ مُجالِس». لكن يبدو أنّ عبده كان يرى في عبد البهاء أكثر من التّوصيف الّذي نقله له رضا، لذلك استطرد عبده قائلًا: «إنّ عبّاس أفندي فوق هذا، إنّه رجلٌ كبير، هو الرّجل الّذي يصحّ إطلاق هذا اللّقب - كبير - عليه»[3].

كان الأمير شكيب أرسلان، المُلقّب بأمير البيان، إحدى الشّخصيّات البارزة الّتي التقت بعبد البهاء أكثر من مرّة، وأُسّست بينهما صداقة دامت حتّى وفاة عبد البهاء. قد يكون اللّقاء الأوّل بين عبد البهاء والأمير شكيب قد تمّ أثناء زيارة عبد البهاء لبيروت عام 1887. يصف أرسلان عبد البهاء بعد وفاته قائلًا: «في العام الماضي انتقل إلى الدّار الآخرة

---

(1) للاطّلاع على نظرة البهائيين عن دورهم في المجتمعات الّتي يعيشون فيها، انظر **فهم الدّين البهائي**، تأليف وندي وموجان مؤمن، تعريب رمزي زين، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2009.

(2) **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده**، تأليف محمد رشيد رضا، القاهرة، 1931، ص 407.

(3) **الأعمال الكاملة للإمام الشّيخ محمّد عبده**، تحقيق وتقديم محمّد عمارة، دار الشّروق، بيروت، 2006. الجزء الثّالث، ص 559.

عبد البهاء عبّاس وقد ذرف على الثّمانين، وكان آيةً من آيات الله بما جمع الله فيه من معاني النّبالة ومنازع الأصالة والمناقب العديدة الّتي قلّ أن ينالَ منها أحدٌ مناله أو يبلغ فيها كماله، من كرم عريض وخُلُق سجيح وشغف بالخير وولوع بإسداء المعروف وإغاثة الملهوف وتعاهُد المساكين بالرِّفْد بدون مَلَل، وقضاء حاجات القاصدين بدون بَرَم. هذا، مع علوّ النّفْس وشُغوف الطّبْع ومضاء الهمّة ونفاذ العزيمة وسرعة الخاطر وسَداد المنطق وسعة العلم ووفور الحكمة وبلاغة العبارة، حتّى كأنّ فصاحتَه صَوْبُ الصّواب وقولَه فصلُ الخطاب، وكتاباتِه الدّيباجُ المُحْبَر وفصولَه الوشْيُ المُنَمْنَم، يَفيض بيانُه جوامعَ كَلِم، وتَسيلُ عارضتُه سيلَ عارضٍ منسجم، ويودّ اللّبيب لو أقام العمرَ بمجلسه يَجني منْ زهر أدبه البارع، ويَرِدُ من منهل حكمته الطّيّبة المَشارع»[1]. أمّا عن العلاقة الشّخصيّة الّتي كانت تربطه بعبد البهاء، فيقول الأمير شكيب: «كانت له [أي عبد البهاء] مع هذا العاجز [يقصد نفسه] مراسلاتٌ متّصلةٌ باتّصال حبل المودّة وعُمران جانب الصّداقة، ومرارًا قصدتُ عكّا ولا غَرَضَ لي فيها سوى الاستمتاع بأدبه الغضّ والاغتراف من علمه الجمّ»[2].

أقلّيّة عالميّة

يبلغ اليوم عدد البهائيين في العالم الخمسة ملايين تقريبًا، وهم منتشرون في 189 دولة مستقلّة و46 إقليمًا، وينحدرون من أكثر من 2100 مجموعة عرقيّة[3]. لذلك، قد تكون البهائيّة أكثر الأديان انتشارًا في العالم ولكن، إذا قورن عددهم بمدى انتشارهم، من البديهي أن يكونوا أقلّيّات في جميع البلدان الّتي يتواجدون فيها. على الرّغم من ذلك، من يتعرّف على البهائيين لا يشعر بأنّهم يعتبرون أنفسهم أقلّيّات في بلدانهم، أو فئةً من الفئات الدّينيّة المهمّشة، بل العكس هو الصّحيح.

قد يكون سبب ذلك هو أنّ البهائيّة تعتبر مبادئها وتعاليمها إطارًا لتأسيس مجتمع

(1) **حاضر العالم الإسلامي** تأليف لوثروب ستودارد مع فصول وتعليقات وحواش للأمير شكيب أرسلان، نقله إلى العربيّة عجاج نويهض، المطبعة السّلفيّة، القاهرة، 1343. ج2، ص 374.

(2) المصدر السابق، ج2، ص 375. للاطّلاع على مزيد من التّفاصيل عن عبد البهاء والمجتمعات العربية، راجع كتاب **عبّاس أفندي في الذكرى المئويّة لزيارته إلى مصر**، تأليف سهيل بديع بشروئي، منشورات الجمل، بيروت، 2010.

(3) هذا الإحصاء مأخوذ من الموقع التّالي: http://info.bahai.org/bahai-world-community.html

عالمي يتجاوز الحدود الضّيّقة للأعراق والأوطان والانتماءات الطّائفيّة والسّياسيّة طبقًا لمقولة بهاء الله: «لعمري قد خلقتم للوداد لا للضّغينة والعناد، ليس الفخر لحبّكم أنفسكم بل لحبّ أبناء جنسكم، وليس الفضل لمن يحبّ الوطن بل لمن يحبّ العالم». إنّ هذه النّظرة الإنسانيّة العالميّة تجعل البهائيّين يشعرون بالمواطنيّة العالميّة كفعل ونمط حياة وليس كشعار جميل يرفعونه ويتغنّون به، ولذلك مع إقرارهم بأنّهم أقلّيّة من ناحية الكمّ الاجتماعيّ إلّا أنّهم مكوّنٌ من مكوّنات الأكثريّة الإنسانيّة المترفّعة عن كلّ أشكال التّمييز والتّفرقة.

يرى البهائيّون أنّ مكوّنات أيّ مجتمع إنساني هي في الأساس أربعة؛ وهي تبدأ بالفرد وتنمو بالعائلة لتكبر بالمجتمع وتُنظّم بالمؤسّسات. وهم يرون أنّه ما لم يتمّ إصلاح هذه المكوّنات الأربعة للمجتمعات البشريّة الّتي تكوّن العائلة الإنسانيّة العالميّة، لن يعمّ العدل والاطمئنان أرجاء المعمورة، ولن تصل الإنسانيّة إلى طَور الرّشد، وستظلّ تعاني من الحروب والنّزاعات والفساد والاختلاف والتّعصّبات والانحلال الأخلاقي. لذلك بدأ البهائيّون، كمكوّن فعّال من مكوّنات المجتمع، منذ أكثر من عقدين من الزّمن، بتنفيذ مشاريع محوريّة هدفُها تلبية احتياجات الإنسانيّة الرّوحيّة والمادّيّة في هذه المرحلة من التّاريخ، وذلك على نطاق عالمي دون الأخذ بعين الاعتبار الفروق العرقيّة أو الطّبقيّة أو المذهبيّة وغيرها من أوجه التّنوّع والتّعدّد.

تقوم مشاريع الخدمة الاجتماعيّة الّتي يعمل فيها البهائيّون وكلّ من يوافقهم الرّأي والرّؤيا من غير البهائيّين على أربعة محاور: نشر ثقافة التّعلّم، وتربية الأطفال تربية أخلاقيّة، والتّرويج لعقد جلسات دعاء بغية تلبية حاجات الإنسان الرّوحيّة، وأخيرًا تنظيم برامج للشّباب النّاشئ ترسّخ في طبعهم الرّغبة في خدمة المجتمع وتحسين أوضاعه. لاقت مشاريع النموّ الاجتماعي هذه إقبالًا كبيرًا في كثير من مناطق العالم، ويزداد انخراط الأفراد من جميع فئات المجتمع والأعمار فيها دون الالتفات إلى الجهة الّتي تنظّم مثل هذه المشاريع، بل إلى النتيجة المتوخّاة منها. يعتقد البهائيّون أنّهم بذلك يساهمون في تحقيق هدف دينهم للبشريّة، والّذي هو «وحدة العالم الإنساني» على الرّغم من وجود التّنوّع الّذي يُغني الحضارات والثّقافات[1].

(1) للاطلاع على تفاصيل مشاريع الخدمة الإنسانيّة والاجتماعية التي ينظّمها البهائيون في الوقت الحاضر انظر: http://www.bahai.org/attaining/gallery.html?lang=arabic